بسم الله الرحمن الرحيم

تصديـــر

بقلم سماحة الشيخ العلامة : يوسف القرضاوي

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما شاء ربنا من شيء بعد، والصلاة والسلام علي الرحمة المهداة للعالمين، والنعمة المسداة للمؤمنين، سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلي آله وصحبه، ومن اتبعهم بإحسان إلي يوم الدين.

أما بعـــــد . . .

فهذا هو الجزء السابع من ديوان خطبي، وهو يتميز بخصوصيتين عن غيره من الأجزاء الماضية:

أولاهما: أن معظم خطبه من (القديم) أي ليس من خطب مسجد عمر ابن الخطاب بالدوحة، ولا غيره من مساجد قطر. بل هي خطب قديمة جُلّها ألقي في مسجد (آل طه) بالمحلة الكبري، الذي بدأت الخطابة فيه وأنا طالب بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف؛ وكان ذلك سنة ١٩٥١، وظللت أعتلي منبره حتي صيف سنة ١٩٥٤م، حين تخطفتنا (كلاب الصيد) وألقت بنا في السجن الحربي، ولم أعد بعدها إلي هذا المسجد.

كنت ألقي خطبتي ارتجالا، كما هي عادتي منذ اعتليت المنبر، وأنا ابن سبعة عشر عاما في قريتي. وإلي اليوم. ولم يكن (التسجيل) قد عرف واشتهر في ذلك الوقت، فلا مطمع في أن توجد هذه الخطب مسجلة عن طريق الأجهزة المعروفة.

ولكن الله رزقني بـ (مسجل بشري) ممتاز، يسجل هذه الخطب بطريقته الخاصة، ويقدمها لي مكتوبة بعد ذلك. ذلكم هو الأخ الحبيب الأديب الشاعر

الداعية الموفق، ابن المحلة، وابن الأزهر، وابن الدعوة: الأستاذ: محمد أحمد حوطر، الذي كان طالبا في المعهد الديني الأزهري الثانوي بطنطا في ذلك الوقت.

وكان قد آلى علي نفسه أن يسجل هذه الخطب ويحفظها للمسلمين عامة، وللدعاة خاصة، حتي لا تضيع بعد إلقائها.

وكانت طريقته أن يحضر (كشكولا) وعدة أقلام من الرصاص، يبريها له زميل مرافق، وهو يكتب أول الآية، ولا يكملها، وكذلك الأحاديث، ونصوص الحكم والأشعار وغيرها. وهو يكتب بسرعة عجيبة، وبخط لا يستطيع غيره أن يقرأه، بل هو لا يستطيع أن يقرأه إذا تركها لليوم التالي، ولذلك يجتهد أن (يبيضها) في نفس اليوم، وهو يذكر الكلمات والعبارات.

كان قد تكّون من ذلك مجموعة من الخطب، اقترح عليّ بعض الأخوة أن أصدرها في ديوان سميته (نفحات الجمعة) ولكن الظروف الأمنية لم تسمح بصدوره.

وكنت أحسب أن هذه الخطب كلها قد ضاعت فيما ضاع من أدبي وشعري وكتاباتي، في أتون المحن المتلاحقة التي أصابت الإخوان المسلمين في مصر.

ولكن شاء الله تعالي أن تظهر أشياء كانت خافية عني، تائهة في تلال الأوراق المختلفة التي أُعاني من البحث فيها، وذلك حين انتقالي من مسكن إلي آخر بالدوحة. فقد عثر سكرتيري العلمي بالدوحة الأخ الشيخ أكرم عبد الستار كساب، وهو يفتش مع بعض مساعديه في أضابيري وأوراقي القديمة، علي مجموعة من الخطب القديمة، مكتوبة بخط الأخ الحبيب محمد حوطر، أتم الله عليه العافية، وعجل له الشفاء من مرضه الذي أقعده منذ سنوات.

وأضيف إلي هذه الخطب المكتوبة بخط حوطر – خطبة أخري، مكتوبة بخطي أذيعت من جامع الزمالك بالقاهرة ، الذي كنت أخطب فيه، أواخر سنة ١٩٥٦م وسنة ١٩٥٧ بعد العدوان الثلاثي علي مصر، وكانت إذاعة القاهرة تذيع

الخطبة من مسجد الزمالك كل عدة أشهر، وتطلب مني أن أكتبها، وأرسلها إليهم قبل أن تذاع، حتي يقرؤوها ويقرّوها. فوجدت هذه الخطبة من خطب الزمالك، وهي عن جهاد الجزائر أيام حرب التحرير الجزائرية المباركة، وقد أريتها للأخوة في الجزائر عندما زرتهم قريبا في (ملتقي الإمام البشير الإبراهيمي) فسروا بها كثيرا، وقالوا: كأنك كنت تعايش الجهاد الجزائري لحظة بلحظة، واستأذنوني في أن ينشروها.

ولقد قرأ الأخ أكرم وإخوانه هذه الخطب القديمة وأعجبوا بها أيما إعجاب، وقالوا: من يقرأ تلك الخطب منذ خمسين سنة أو أكثر لا يجدها تختلف كثيرا عن خطب اليوم، النهج هو النهج، والروح هي الروح، والأسلوب هو الأسلوب، وإن كانت خطب اليوم تمتاز بأفق أوسع، وعلم أغزر، وفكر أنضج، بحكم تراكم المعرفة والخبرة، وعمق التجربة، كما لوحظ أن الخطب القديمة كثيرا ما يغلب عليها حماس الشباب. ورأوا أن تضاف إلي الخطب المنشورة في الأجزاء السابقة لما لها من دلالة تاريخية.

والخصوصية الثانية لهذه المجموعة: أنها لم تحظ بإعداد الأخ الفاضل الدكتور خالد السعد الذي تولي إعداد خطب الأجزاء الماضية، جزاه الله خيرا. ولكن قام مقامه في هذا الجزء: ابننا المهذب، وتلميذنا النجيب، وأخونا الكريم: أكرم عبد الستار كساب، الذي علّق علي هذه المجموعة، ورقم آياتها، وخرّج أحاديثها، وأعدّها للنشر. فشكر الله له، وجزاه عني وعن المسلمين خيرا.

ولا سيما أني في تلك المرحلة من حياتي؛ لم أكن متمكنا من معرفة الحديث ونقده، من حيث التصحيح والتضعيف، وإنما اكتسبت هذه الخبرة بعد. ولذا وجد في هذه الخطب الحديث الضعيف والواهي.

وكان جلّ اعتمادي علي كتابين: الترغيب والترهيب للمنذري، قبل أن أنظر فيه بعد ذلك، وأحذف منه المنكر والواهي والضعيف، وأنتقي منه الصحيح والحسن، وأصدرت ذلك في (المنتقي من الترغيب والترهيب).

والكتاب الثاني، هو: أحاديث كتاب (الإحياء) للغزالي، قبل أن أنتبه إلي تخريج الحافظ العراقي لهذه الأحاديث انتباها كافيا.

وقد أكملنا هذا الجزء، باختيار ثمانية خطب من الخطب الحديثة، ليكتمل العدد عشرين، وقد التزمنا منذ بداية نشر الخطب: أن يكون كل جزء يشتمل علي عشرين خطبة.

وبهذا تميز هذا الجزء بالجمع بين يوسف القرضاوي ابن العشرين، ويوسف القرضاوي ابن السبعين.

أسأل الله تعالي أن ينفع بهذه الخطب قائلها، ومسجلها بقلمه، ومعدّها للنشر، وطابعها، وناشرها، وقارئها، وكل من أعان علي الانتفاع بها، ووفق الجميع لما يحب ويرضي.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الدوحة في: ١٦ جمادي الأولي ١٤٢٦ هـ
٢٣ يونيو ٢٠٠٥ م

الفقير إلي الله
يوسف القرضاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــــم

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالي من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك علي هذا الرسول الكريم، وارض اللهم عن آله وصحابته أجمعين.

أمـا بعـــد :-

فقد كلفني فضيلة شيخنا العلاّمة يوسف القرضاوي أن أُشرف علي هذه المجموعة من الخطب وأغلبها من الخطب القديمة، التي كانت في طيّ النسيان، وكان الشيخ يعدها ضمن المفقود من تراثه – وما أكثره – وأصل العديد من هذه الخطب كان التلميذ النجيب، والصديق الحبيب للشيخ، الأستاذ: «محمد حوطر» قد قام بجمعها وتحريرها منذ قرابة نصف قرن.

ولما كانت العادة قد جرت علي أن يكتب الأخ الفاضل الدكتور: خالد السعد تقديماً لهذه الخطب، فقد استأذنت شيخنا أن أقوم بهذا التقديم، وبخاصة أن هذا التقديم هو جزء مما كتبته عن فضيلة الشيخ في كتابي «**المنهج الدعوي عند القرضاوي**» [1] وقد وافق الشيخ مشكورا علي هذا الطلب وإن تحفظ في أول الأمر.

مكانة الخطبة:

تعد الخطبة من أقدم الوسائل الدعوية وأنجحها، يأتي الناس لها طواعية مختارين، وقد اشتهر في القديم وفي الحديث خطباء بارعون، هزوا أعواد المنابر،

(١) وهو تحت الطبع وستقوم بطبعه مكتبة وهبة إن شاء الله.

فأطرقت لهم الرؤوس واشرأبت لهم الأعناق وسكنت لهم النفوس، وانقادت لهم الجوارح والأبدان.

ومن منا لا يذكر علي بن أبي طالب، والأحنف بن قيس، وطارق بن زياد، وابن أبيه، والحسن البصري، وابن الجوزي، وغيرهم رحمهم الله تعالي.

الشيخُ فارسٌ في هذا الميدان:

والشيخ القرضاوي حفظه الله فارس في هذا الميدان، منذ أن اعتلي المنبر وهو في العقد الثاني من عمره إلي وقتنا هذا، وهو في العقد الثامن من عمره – أطال الله في عمره – تسمعه فكأنما تسمع شابا لم يتجاوز الثلاثين أو الأربعين، كأنما هو أسد يزأر، أو سيل يزحف.

وتحسب حين تسمع القرضاوي أنه قد رضع حقا من أثداء الشريعة الغراء، وتضلع من صدر الملة السمحاء.

إن مما يمتاز به القرضاوي – أحسبه كذلك ولا أزكيه علي الله تعالي – أنه موصول بالله؛ فإذا تكلم فبتأييد من الله، لذا تراه يتحدث في أدق المعاني بكلمات تشعر أنها هادئة، لكنها والله رائعة، وبسيطة لكنها مؤثرة، وبريئة لكنها مجلجلة.

مؤهلات القرضاوي الخطابية:

وقد ساعد الشيخ علي ذلك: علمه الغزير، وثقافته الواسعة؛ الشرعية وغير الشرعية، وموضوعاته الغنية، ولغته الجميلة، وعرضه الرائع، ولهجته الصادقة، ولسانه الفصيح، وصوته القوي، وأسلوبه الرصين، وذاكرته القوية.

إنه إذا خطب يخيل إليك أنه ينتقي ألفاظه انتقاء، وكأن الكلمات بين يديه يأخذ منها ما يشاء ويدع ما يشاء، مما يزيده رباطة في جأشه، وقوة في قلبه، وثقة في نفسه.

وللشيخ قدرة غريبة في استحضار الآيات القرآنية والأحاديث النبوية،

فضلاً عن أقوال العلماء، وحكم الحكماء، وأشعار السابقين، وتجارب اللاحقين.

وأعجب ما في خطب الشيخ : أنه يجمع بين فقه الفقيه، وبلاغة الأديب، وحرارة الداعية، وروح المربي، وأصالة العالم، ورواية المحدث، وحس المؤرخ، ودقة المناظر، وترتيب المحاضر، فتري كلماته كأنها كائن حي، كأنما هي طائر له أجنحة، أو إنسان له قلب يخفق، ولسان ينطق.

وعلي بلاغة الشيخ وأدبه، فإنك لا تري في خطبه سجعًا متكلفاً، ولا ألفاظًا غريبة، ولا جملاً غير مرتبطة، بل هي قطع من الأدب دونما تكلف أو نصب.

موضوعات الخطبة عند القرضاوي...

وخطب الشيخ ليست من الخطب الموسمية، التي لا تنفك عن مواسم العام؛ فخطبة عن الهجرة، وأخري عن المولد النبوي، وثالثة عن الإسراء والمعراج، وهكذا، لا؛ ولكن خطب الشيخ تراها خطباً تثبت العقيدة، وتصلح العبادة، وتقوّم الأخلاق، وتبين أسس التعامل بين الناس.

إنها خطب تمس الواقع في كل مجالاته: الفردية والأسرية، والاجتماعية، والثقافية، والسياسية والاقتصادية؛ فتعالج أمراضه، وتقوّم اعوجاجه، وتصحح أخطاءه، تشد علي يد التائب، وتأخذ بيد العاصي، وتوجه المخطئ، وتوقظ النائم، وتحرِّك الراكد، وتنبه الغافل، وترد الشارد، وتعلّم الجاهل،، وتهدي الحائر، وتبصر العمي، وتنفخ الروح في الجثث الهامدة.

إنها خطب: «تقدم الدين عقيدة سليمة، وعبادة خالصة، وأخلاقاً فاضلة، وآداباً سامية، وأعمالاً صالحة، وتشريعات عادلة، وعلوماً نافعة، وفنوناً راقية، وحضارة متوازنة»(١).

---

(١) انظر: خطب القرضاوى ج ١ ص ٩ .

وأبرز ما في خطب الشيخ أنه لا ينكفئ علي القديم دون أن يُعرِّج علي الجديد، بل هو دائم التجديد في خطبه، باحث عن مشاكل أمته، لينبه عليها، داعياً مستمعيه إلي مشاركة إخوانهم في مصائبهم، ومعايشتهم في مآسيهم، فتراه تارة يذكر بقضية فلسطين، وتارة بقضية الأفغان، وثالثة بالعراق، ورابعة بكشمير، وخامسة بتركيا، وسادسة وسابعة ... ثم يعود أدراجه ليعود إلي قضية فلسطين والأقصي من جديد.

والمتابع لخطب الشيخ القرضاوي يدرك أن الشيخ يختار خطبه بعناية ودقة، وخطب الشيخ ليست من الخطب النمطية المعروفة، لكنها خطب إن شئت سمها خطباً سياسية اجتماعية اقتصادية أخلاقية عبادية عقدية تاريخية؛ إنها خطب تجمع بين الدين والدنيا، وتربط الدنيا بالآخرة، لكن الرائحة السياسية لا شك تفوح من هذه الخطب، لأن الشيخ إنما فهم الدين كذلك: عقيدة وشريعة، عبادة ومعاملة، ديناً ودنيا، دعوة ودولة، وانظر عناوين هذه الخطب لتدرك المعني:

١ – زلزال مصر

٢ – مرض الإيدز.

٣ – توحيد العرب تحت راية الإسلام.

٤ – القمر الصناعي الإسرائيلي.

٥ – الذكري السنوية للانتفاضة.

٦ – قضية المرتد سلمان رشدي.

٧ – العدوان علي الكويت.

٨ – اتفاقية غزة وأريحا.

٩ – حقائق حول أزمة الخليج.

١٠ – مأساة المسلمين في البوسنة.

١١ – الصحوة الإسلامية بين المتشائمين والمتفائلين.

١٢ – الاستنساخ في البشر وأضراره.

١٣ – توضيح الحق في فوائد البنوك.

١٤ – حقوق الإنسان في الإسلام.

١٥ – معركة الحجاب في فرنسا.

١٦ – مؤتمر السكان في القاهرة.

١٧ – هدم المسجد البابري.

١٨ – القنبلة النووية الباكستانية.

١٩ – أمتنا لن تموت.

٢٠ – وا قدساه.

٢١ – رسالة إلي المؤتمر الإسلامي التاسع.

٢٢ – مشروع الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية.

٢٣ – التنصير في منطقة الخليج.

٢٤ – المسلمون في أمريكا الجنوبية.

وغيرها من خطبه النافعة الجامعة.

إن خطب القرضاوي ليست مجرد كلام يقال، بل هي: تربية وتعليم وترشيد وتفهيم، وبيان وتعريف، وتفقيه وتثقيف، وكلها تنبع من واقعه الذي يحياه، وآلامه وآماله، التي يعيشها، ومن ثم فهو يعيش الخطبة بقلبه وبعقله، ويحياها بعواطفه وجوانحه، فإذا تكلم تكلم بعروقه ودمه، وهذا ما يظهر في قسمات وجهه، وبريق عينيه، وعبارات لسانه، ونبرات صوته، وحركات يديه، وإشارات أصابعه.

ومن ثم تراه يُضحك جمهوره تارة، ويبكيهم تارة أخري، ربما في خطبة واحدة، دونما تكلف مصطنع، أو تصنع متكلف.

والحق أن الخطابة عند القرضاوي: نداء صارخ، وصوت قوي، من قلب مهموم، وفؤاد مكلوم، وهي علم نافع، وثقافة هادية، من عقل بصير، وفؤاد مستنير، ولب ملهوف، وشخص مشفق محب، وإنسان ناصح أمين، موجه إلي قلوب شاردة لتعود، وأشخاص غافلة لتتنبه، وإلي العقول المستنيرة لتزداد نورا، وإلي القلوب المهتدية لتزداد هدي.

مميزات الخطبة عند القرضاوي:

للخطابة عند القرضاوي مميزات عدة؛ ومن أهم هذه المميزات:

١ – ارتباط الخطبة بالواقع الذي يعيشه المسلمون.

٢ – اشتمال الخطبة علي أهم قواعد الدين، من عقيدة سليمة، وعبادة خالصة، وأخلاق فاضلة، وآداب سامية، وأعمال صالحة، وتشريعات عادلة، وحضارة متوازنة.

٣ – الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

٤ – توثيق الخطبة بالأدلة الموثقة.

٥ – البعد عن إسرائيليات التفسير، ومنكرات الحديث، وخرافات العوام وأوهام الخواص.

٦ – الاعتدال والوسطية في عرض القضايا بعيداً عن غلو المغالين وتفريط المتسيبين.

٧ – الأسلوب الأدبي الرصين.

٨ – الأداء الحي الفعال.

٩ – مخاطبة العقل وتحريك العواطف.

١٠ – التركيز علي مشاكل الأمة وقضاياها.

١١ – التنوع في الموضوعات.

١٢ – الغزارة في الأدلة.

١٣ – البعد عن المسائل الفرعية الخلافية.

١٤ – استقلاله بذاته وعدم تقليده لأحد.

١٥ – الشمول والتكامل.

١٦ – عدم التكلف أو الاصطناع.

١٧ – رد شبه المتطاولين من الكفار والملحدين والمنافقين.

«مشوار» القرضاوي الخطابي:

مشوار الشيخ الخطابي طويل، بدأه الشيخ في قريته «صفط تراب» واستمر المشوار حتي انتهي به المطاف في مسجد عمر بن الخطاب بقطر، مروراً بمسجد آل طه في المحلة ومسجد الزمالك بالقاهرة، وساحات المعتقلات ومسجد أبي بكر الصديق بقطر، ومساجد في أقطار شتي.

لقد خطب القرضاوي في قارات الدنيا الخمس؛ في أفريقية، وفي آسيا. وفي أوربا. وفي الأمريكتين، وفي أستراليا.

ويذكر الشيخ أن أول خطبة منبرية له كانت وهو في السنة الرابعة من المرحلة الابتدائية، وطلب من الشيخ أن يلقي خطبة في أحد مساجد قريته «مسجد المتولي» بعدما عُرف الشيخ بإلقاء الدروس، فأعد الشيخ خطبة كتب الله له فيها التوفيق، كانت تحت عنوان «الشكر لله»، وقد أثني الناس خيراً علي الشيخ، ويرجع ذلك لكونه لم يقلد أحداً لكنه تقمص شخصيته هو (١).

وأخذ الشيخ يتنقل بين مساجد القرية كلما سنحت له فرصة، وقد ساعده علي ذلك انضمامه لجماعة الإخوان المسلمين، فاعتبروه داعية من دعاتها يجوب القري والمدن فيما عرف وقتها بمديرية الغربية.

---

(١) انظر: ابن القرية والكتاب (ج١ / ١٧٨)، وانظر: خطب الشيخ القرضاوي ج١ ص٥.

وبعد انتقال الشيخ إلي القاهرة بعد إتمام المرحلة الثانوية، كثرت أعباؤه ومتطلباته، ففكر الشيخ في البحث عن عمل ليفي بحاجاته، وأشار عليه صديقه «محمد الدمرداش» بالتقديم في وزارة التربية والتعليم للعمل كمدرس، لكن الشيخ رفض هذا الاقتراح حتي لا ينقطع عن القاهرة مركز الدعوة والنشاط والحركة؛ فدله بعض إخوانه علي مسجد يُبْني بالمحلة الكبري علي أن يكون خطيبا فيه، فذهب الشيخ إلي أصحاب المسجد وهم أسرة «آل طه» واتفق معهم، وتم افتتاح المسجد ، وبدأت الأقدام تصطف في داخل المسجد وخارجه، حتي تم بناء مبني آخر من عدة طوابق بجوار المسجد ملحقا له، حتي غدا المسجد يطلق عليه «مسجد الشيخ يوسف» بعد أن أصبح الناس يتوافدون عليه من سمنود وطلخا، وطنطا، والمنصورة وغيرها (١).

وبعد خروج الشيخ من السجن الحربى تم الاتصال به أيام العدوان الثلاثي، من قبل وزارة الأوقاف، ليعمل بمكافأة خطيباً بجامع الزمالك سنة ١٩٥٦م، وكان وزير الأوقاف وقتها الشيخ أحمد حسن الباقوري، فتم انتداب الشيخ الغزالي إلي الجامع الأزهر، علي أن يحل القرضاوي مكانه في مسجد الزمالك، وكان اختيار القرضاوي لهذا المسجد لشعور المسؤولين بشدة الحاجة إلي خطباء مرموقين يعملون علي رفع الروح المعنوية لدي الشعب، ويشعلون جذوة الحماس في صدره، ويبعثون الأمل في نفسه، ويمحون اليأس من قلبه، وذلك بعد العدوان الثلاثي علي مصر.

وقد استمر الشيخ في هذا المسجد سنة ونصفاً، أو أقل ثم منع من استمرار خطابته بالمسجد.

ومنذ أن قدم الشيخ إلي قطر في عام ١٣٨١ هـ - ١٩٦١م بدأ يزاول مهمته ورسالته، واعتلي المنابر من جديد، ولم تكن الخطبة منتظمة في بداية حياته في قطر، ولما أنشئ مسجد «أبو بكر الصديق» أسندت الجمعة فيه إلي

---

(١) انظر: ابن القرية والكتاب (ج١ / ٤٤٤)، وانظر: خطب الشيخ القرضاوي ج١ ص ٦ .

الشيخ، واستمر به إلي أن أنشيء مسجد «عمر بن الخطاب» فنقل إليه الشيخ إلي يومنا هذا حفظه الله تعالي[1].

وقد شرع أحد تلاميذ الشيخ ومحبيه من دولة البحرين، بجمع هذه الخطب وهو الدكتور/خالد خليفة السعد، فقام بتفريغها وتخريج أحاديثها، والتعليق عليها أحياناً، وقد خرج منها ستة أجزاء حتي اليوم، وهذا الجزء السابع بين يدى القارئ، ويتلوه العديد من الأجزاء إن شاء الله.

القرضاوي يخطب جالساً:

ولما طال العمر بالشيخ - أسأل الله أن يطيل عمره وأن يحسن عمله - واشتد ألم ركبته عليه، اضطر الشيخ إلي أن يخطب جالساً، بعد أن أخذ يصلي جالساً منذ عدة سنوات، وعلى الرغم من هذا كله إلا أن حماسة الشيخ، وصرخاته الملتهبة،.ونبرته القوية، وصيحاته العالية، وكلماته المدوية ما زالت ولا تزال تري في خطبه.

القرضاوي بين القديم والجديد في خطبه:

والقاريء لهذا الجزء الذي يجمع بين القديم والجديد من خطب الشيخ، سيري أوجه التشابه الكثيرة والمتعددة بين القرضاوي في شبابه والقرضاوي في شيبه؛ سيجد الأدب والبلاغة، والشجاعة والحماسة، والفكرة والعبرة، والفكاهة والطرفة، كما أنه سيجد كذلك دقة المناظر، وترتيب المحاضر، وأصالة الفقيه، وروح المربي ، ووضوح الداعية.

ولكن الفرق البين، والبون الواضح بين القديم والجديد، هو رواية المحدث، التي تظهر واضحة جليلة في الجديد، وهي غير موجودة في القديم، وهذا أمر لا يعيب شيخنا، فإن العالم لا يولد عالماً، والكبير لا يولد كبيراً.

إن أكثر ما يؤخذ علي الشيخ في هذه الخطب هو اعتماده الواضح علي

---

(١) انظر: خطب الشيخ القرضاوي ج١ ص ٦، ٧ .

كتابي «الترغيب والترهيب» للمنذري و«الإحياء» للإمام الغزالي، وقد أدي هذا الاعتماد إلي استشهاد الشيخ بما سجله الغزالي رحمه الله في إحيائه، أو المنذري في ترغيبه، فكان الاستشهاد بالضعيف، وربما في أحيان قليلة بالضعيف جداً والواهي وهذا علي مذهب جمهور المحدثين الذين قالوا بجواز العمل بالحديث الضعيف في الرقائق والترغيب والترهيب.

كما تجدر الإشارة إلي أن من الفروق الظاهرة بين القرضاوي في شبابه والقرضاوي في شيبه: هو الطول والقصر في الخطبة، فإذا كانت الخطبة في الجديد لا تقل عن ساعة؛ وإن قلّت فبقليل، وهي في صفحاتها لا تقل عن الخمس عشرة صفحة، وقد تزيد أحيانا فتتجاوز العشرين. بينما هي في القديم عادة لا تتجاوز العشر صفحات إلا في القليل.

وأمر أخير أود الإشارة إليه وهو: أن هذه الخطب القديمة نمت وربت حتي غدت فيما بعد كتباً يشار إليها بالبنان، ويتحدث عنها الركبان.

نعم لقد نمت هذه الخطب وتأمل معي خطبتَي «**القرآن الكريم منهاجاً للفرد، والقرآن الكريم دستوراً للدولة**»، وقارن بينهما وبين كتاب الشيخ «**كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟**» وأمعن النظر كذلك في خطبة **التوبة**، وقارن بينها وبين كتاب الشيخ «**التوبة إلي الله**» إن بين الخطبتين الأولين وكتاب «كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟» قرابة نصف قرن، وكذلك ما بين خطبة «التوبة» وكتاب «التوبة إلي الله»، وهذا إن دل علي شيء فإنما يدل علي رسوخ هذه الأصول في ذهن الشيخ، وأن طول الزمن لم يكن إلا مصقلاً لهذه الأفكار.

المنوفية أشمون / دروة

في: جمادي الآخرة ١٤٢٦ هـ.

يوليو ٢٠٠٥ م.

الفقير إلي عفو ربه

أكرم عبد الستار كساب